

البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية بين الصرامة العلمية المطلوبة والتحديات الأخلاقية المفروضة

Scientific research in the humanities and social sciences between the required scientific rigor and the imposed ethical challenges

شهاب اليحياوي، عضو وحدة البحث: توارث، انتقالات وحراك (TTM) جامعة تونس المنار، تونس

[*Yahyaouiichiheb08@gmail.com](mailto:Yahyaouiichiheb08@gmail.com)

تاريخ القبول: 2024-01-27

تاريخ الإرسال: 2024-01-08

ملخص:

تضع دراسة مشكلات مسكوت عنها أو مراد لها أن تظلّ في حكم المخفيّ والنكرة الاجتماعية، الباحث أمام اكراهات وحدود وفواصل ذات مضمون أخلاقي، لعلّ أولها أنّ البحث في هذه الموضوعات يقتحم عالم مخفيّ أو عالم ثان يصيرّ الأفراد أو الجماعات موضوع الدراسة على مجهوليته واستبعاد معرفة المجتمع به توجّسا من المخاطر والأضرار النفسية والاجتماعية المحتملة التي قد تطالهم. وهو ما يوجب استشكال علاقة البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية بالاعتبارات الأخلاقية وهذا التوتر الذي تخفيه بين الحرية الأكاديمية ومسؤولية الباحث وبين تقدم المعرفة واحترام المشاركين الذين هم في أساس هذا التقدم، والتوتر أيضا بين المفاهيم المختلفة لما هي الأخلاق وهدفها والتعبير الملموس عنها: فكيف للبحث العلمي أن يستجيب الى صرامة التمشي المنهجي الذي يمنح معرفته المنتجة شرعيتها العلمية وموضوعيتها وفي الآن ذاته أن يلتزم بقيم وقواعد أخلاقية تسيّج حدود بحثه وتفرض عليه ضوابط ما؟ يضعنا هذا الاشكال المركزي أمام أسئلة إشكالية فرعية على هذا النحو: هل أنّ البحث العلمي مطالب فعلا بتبنيّ هذه التحديات الأخلاقية والاستجابة لها؟ وما هي هذه التحديات أو الاعتبارات الأخلاقية التي تطرح نفسها على البحث العلمي في الموضوعات/التبوهات؟ وإلى أي مدى تمسّ هذه الاستجابة للاعتبارات الأخلاقية علمية المعرفة المنتجة أو تشكّل تهديدا لعلمية البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية؟

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الصرامة العلمية، التحديات الأخلاقية.

Abstract (in English):

The study of problems that are unheard of or intended to remain in the rule of hidden and social invisibility, puts the researcher in front of constraints, limits and breaks with moral content, perhaps the first of which is that research on these topics breaks into a hidden world or a second world that insists individuals or groups under study. On its anonymity and the exclusion of society's knowledge of it out of fear of the risks and possible psychological and social damages that may affect them. This necessitates the relationship of research in the humanities and social sciences to ethical considerations and this tension that it conceals between academic freedom and the responsibility of the researcher and the progress of knowledge and respect for the participants who are at the basis of this progress, There is also tension between the different concepts of what ethics is, its purpose and its concrete expression: how can scientific research respond to the rigor of methodological approach that gives its productive knowledge its scientific legitimacy and objectivity while adhering to ethical values and rules that fence the boundaries of its research and impose certain controls on it? This central problem presents us with sub-problematic questions like this: Is scientific research really required to embrace and respond to these ethical challenges? What are these ethical challenges or considerations that present themselves to scientific research on subjects/taboos? To what extent does this response to ethical considerations affect the scientific knowledge produced or pose a threat to the scientificity of research in the humanities and social sciences?

Keywords: Scientific research, humanities and social sciences, scientific rigor, ethical challenges.

مقدمة:

لطالما أثارت دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية الموضوعات ذات الحساسية الشديدة مجتمعياً[†] مثل الأطفال المهددين أو أطفال الشوارع أو البغاء أو الأمهات العازبات أو العزوبة المتأخرة أو التّعرض للاعتداء الجنسيّ أو النساء المتورطات في العنف الجنسي ضد القاصر في السجن أو التّعرض للاعتداء الجنسيّ أو النساء المتورطات في العنف الجنسي ضد القاصر في السجن (Myriam.Joël, 2015, pp 68-79, إشكاليات لا تتّصل بالشروط والمقتضيات العلميّة للبحث بقدر ما تنتقل بنا الى حقل أخلاقيّات البحث العلميّ وما يفرضه على البحث من اكرهاات وقيدود. فدراسة هكذا مشكلات مسكوت عنها أو مراد لها أن تظلّ في حكم المخفيّ والنكرة الاجتماعية Invisibilité Sociale, يضع الباحث أمام حدود وفواصل وقيدود ذات مضمون أخلاقيّ (Léo.Coutellec, 2019), لعلّ أولها أنّ البحث في هذه الموضوعات يقتحم عالم مخفي أو عالم ثاني يصير الأفراد أو الجماعات موضوع الدّراسة على مجهوليته Anonymat واستبعاد معرفّة المجتمع به توجّساً من المخاطر والأضرار النفسيّة والاجتماعيّة المحتملة التي قد تطالهم. وهو ما يوجب استيشكال علاقة البحث في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بالإعتبارات الأخلاقيّة وهذا التّوتّر يُنّ الحريّة الأكاديميّة ومسؤوليّة الباحث (J-M.Larouche, 2019, pp 479 à 501) وتبنّ تقدّم المعرفة واخترام المشاركين الذين هم في أساس هذا التّقدّم، والتّوتّر أيضاً بين المفاهيم المختلفة لما هي الأخلاق وهدفها والتّعبير الملموس عنها (Joseph J. L ; Michel. B, 2010): فكيف للبحث العلميّ أن يستجيب للصّرامة التي يلزمها التّمسّي المتهجّي الذي يمتنع للمعرفة صيغتها العلميّة وفي الآن ذاته أن يلتزم بقيم وقواعد أخلاقيّة تسيج حدود بحثّه وتفرّض عليه ضوابط ما؟ يَضَعُنا هَذَا الاشْكَالُ الْمَرْكَزِيُّ أَمَامَ أَسْئَلَةٍ إِشْكَالِيَّةٍ فَرْعِيَّةٍ عَلَى هَذَا النَّحْوِ: هَلْ أَنَّ الْبَحْثَ الْعِلْمِيَّ مُطَالِبٌ فِعْلاً بِتَبَيُّنِ هَذِهِ التَّحْدِيَّاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالِاسْتِجَابَةِ لَهَا؟ وَمَا هِيَ هَذِهِ التَّحْدِيَّاتُ أَوِ الْإِعْتِبَارَاتُ الْأَخْلَاقِيَّةُ الَّتِي تَطْرُقُ نَفْسَهَا عَلَى الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ / التَّبَوُّهَاتِ؟ وَالْأَيُّ مَدَى تَمَسُّ هَذِهِ الْإِسْتِجَابَةِ لِلْإِعْتِبَارَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، عِلْمِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ الْمُنْتَجَةِ أَوْ تَشْكِيلِ تَهْدِيدًا لِعِلْمِيَّةِ الْبُحُوثِ فِي الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ؟

[†] استخدمت جوان سيبير Joan Sieber وباربرا ستانلي Barbara Stanley (1988) مصطلح البحث الحساس اجتماعياً لوصف الأبحاث التي قد تكون لها عواقب سلبية على المشاركين، أي المشاركين في البحث أو مجموعة الأشخاص الذين يمثلهم البحث. ويمكن العودة أيضاً الى تعريف الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) للبحوث الحساسة اجتماعياً: البحث الحساس اجتماعياً هو البحث حول مواضيع من المحتمل أن تثير الجدل في المجتمع أو ردود فعل عاطفية قوية من المشاركين. وقد تشمل هذه الموضوعات تلك التي لها آثار أخلاقية تؤثر على الجماعات أو الثقافات الفرعية داخل المجتمع مثل الأقليات العرقية...

تَنْطَلِقُ مُقَارَبَتُنَا لِكُلِّ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الْإِشْكَالِيَّةِ مِنْ رِهَانٍ بَحْثِي يُفِيدُ أَوْ يَنْتَصِرُ لَوْجُودِ مِنْطَقَةٍ تُقَاطِعُ وَتَوَافِقُ بَيْنَ الْمُتَقَضِّيَّاتِ الْإِبْسْتِيمُولُوجِيَّةِ لِعِلْمِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِنْخِرَاطِ الْقَصْدِيِّ لِلْبَاحِثِ فِي الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ فِيمَا يُعْرَفُ بِالْمُبَادِيِ التَّوْجِيهِيَّةِ لِأَخْلَاقِيَّاتِ أَلْبَحْثِ. (Elisabeth. Staksrud and al, 2022) ، اَعْتَبَارًا لِخُصُوصِيَّةِ مَيْدَانِ بَحْثِهِ بِمَا هُوَ عَالَمٌ ثَقَافِيٌّ أَيْ عَالَمُ الْفَيْمِ وَالْمَعَايِيرِ وَعَالَمُ مُتَحَرِّكٍ وَمُعَقَّدٌ يُشْكَلُ الْبَاحِثُ جُزْءٌ مِنْهُ بِمَا يَقْتَضِي مِنْهُ التَّسَلُّحُ بِالْصَّرَامَةِ الْمَنْهَجِيَّةِ الَّتِي تَفِيهِ تَسَلُّلَ ذَاتِيَّتِهِ إِلَى احْكَامَةِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ أَنَّ يَتَوَرَّطَ بِحُثِّهِ فِي تَغْزِيرِ الْقَوَالِبِ التَّمْطِيَّةِ أَوْ وَصْمِ جَمَاعَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ أَفْرَادٍ مُعَيَّنِينَ.

وتذهب المنهجية المقترحة في مشروع ورقتنا الى مناقشة السؤال الاشكالي المركزي ابستيمولوجيا عبر مجادلة مبدأ الضرورة والحاجة لتقييد الأبحاث في العلوم الإنسانية بمدونات أخلاقية ومبادئ توجيهية للأخلاقيات المهنية والتي هي ذاتها موضوع اختلاف مفهومي وتعارض بين الباحثين. ذلك أن نتائج هذه المناقشة التي تؤثت القسم الأول من الورقة البحثية ، تحليلنا (منهجيا ومنطقيا) الى تقصي التحديات والاشكاليات الأخلاقية المُقْتَرَنَةِ بِمُقَارَبَةِ مُجْتَمَعَاتِ بَحْثِيَّةٍ يَخْتَرُقُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا أَزْرَقَ مُعَالِمَهَا وَالَّتِي مِنْ بَيْنِهَا السَّرِّيَّةُ وَالْخُصُوصِيَّةُ *La divulgation d'informations sensibles* وَضَرُورَةُ الْمَوَافَقَةِ الصَّرِيحَةِ أَوْ الْمُسْتَنِيرَةِ لِلْمُبْحُوْثِينَ *Consentement éclairé* وَبَوْرَطُ الْبَاحِثِ تَبَعًا لِذَلِكَ فِي وَضْعِ أَفْرَادٍ مُجْتَمِعِ الدِّرَاسَةِ أَمَامَ مُشْكَلاتٍ قَانُونِيَّةٍ (تَبَعَاتُ قَضَائِيَّةٍ) أَوْ اجْتِمَاعِيَّةٍ (تعميق العزلة الاجتماعية لهذه الفئة الاجتماعية أو إعادة إنتاج الصور النمطية المسيئة لهم *Les stéréotypes nuisibles* أو احداث ضرر أو أدنى نفسي عاطفي أو إساءة الفعل) *mal faire* (Mathilde.Couderc,2006) ثُمَّ إِنَّ حَصَرَ التَّحْدِيَّاتِ الْكُبْرَى الْمُمَكِّنَةِ أَوْ الْمُفْتَرَضَةِ لِهَكَذَا دِرَاسَةٍ يَوْجِبُ مِنْطَقِيًّا وَمَنْهَجِيًّا أَنْ نَتَحَرَّى إِلَى أَيْ مَدَى يُمَكِّنُ أَنْ تَتَحَوَّلَ هَذِهِ التَّحْدِيَّاتُ الْأَخْلَاقِيَّةُ إِلَى فَيُودٍ تَكْنِجٍ وَتَضْيِيقُ أَفَقِ الْبَحْثِ وَتَمَسُّ مِنْ مِصْدَاقِيَّتِهِ وَمَوْضُوعِيَّتِهِ وَبِالْقَالِي تَقَلُّلُ مِنْ عِلْمِيَّةِ نَتَائِجِهِ. وَهُوَ مَا سَيُؤَيِّتُ الْقِسْمَ الثَّالِثَ مِنَ الْوَرَقَةِ الْبَحْثِيَّةِ أَيْنَ سَتَتَجَلَّى الرُّوَاطِ الصُّلْبَةِ بَيْنَ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ لِإِشْكَالِيَّةِ الْبَحْثِ الْمَطْرُوحَةِ.

1. فِي أَنَّ الْبَحْثَ فِي الْعُلُومِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ مَطَالِبُ بِنْيَتِي التَّحْدِيَّاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ رَغْمَ تَعَلُّقِهِ بِالصَّرَامَةِ الْعِلْمِيَّةِ

سعت العلوم الاجتماعية والإنسانية منذ دوركايم (اميل دوركايم، 1988) الى التسلح بجملة من القواعد المنهجية من أجل اثبات علمية معارفها في سياق السجل الابستيمولوجي الذي يضع هذه المعرفة موضع الشك والتشكيك في علميته استنادا لاتساع احتمالية تسلل ذاتية الباحث ورساميله

الاقتصادية والاجتماعية والرمزية بعبارة بيار بورديو (بيار بورديو. وجان كلود باسرون، 2007) وتأثيرها على الأحكام التي تنتهي اليها البحوث في العلوم الاجتماعية. وقد مثل انتماء الباحث ذاته الى مجتمع بحثه أحد حجج المشككين في علمية علم الاجتماع. وقد قاد هذا الجدل الاستيمولوجي علم الاجتماع الى انتاج استيمولوجيته الداخلية من خلال ممارسة النقد الذاتي لأدواته وتقنياته البحثية ومناهجه ومدى تناسبها مع موضوعه وطبيعة الظواهر الاجتماعية التي تنتهي الى عالم الانسان الذي هو عالم ثقافي وعالم رمزي معقد تتداخل ضمنه أبعاد متعددة لتصنع الظاهرة الاجتماعية أو السيرة الاجتماعية (Alain.Beitone, 2016). ومثلما أنّ تعريف السوسولوجيا ذاتها وموضوعها كان ولا يزال موضوع تخالف واختلاف اقترن أساسا بالتموقع الاستيمولوجي للنظريات والبرادبغمات المتعددة التي يكشف عنها حقل السوسولوجيا منذ مرحلة التأسيس الى السوسولوجيا المعاصرة، فإنّ السجل الاستيمولوجي حول العلاقة بين الذاتي والموضوعي والفرد والجماعي والنفسي والاجتماعي لم ينتهي الى أي شكل من الحسم النهائي رغم المقاربات الجديدة التوفيقية والتأليفية بينهما ليفسح تبعا لعنصر التنوع الشديد في المناهج وتقنيات البحث وأدواته كحقيقة ملازمة لعلم الاجتماع (Pierre. Bourdieu, 2002, pp 19-28)

ولعلّ من أهمّ الإشكاليات التي تثير قلق البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية عموما والسوسولوجيا خصوصا هي التي يثيرها البعد الأخلاقي لقفز علم الاجتماع على أي موانع يضعها المجتمع على موضوعات أو مسائل اجتماعية بعينها، في استجابة لقناعة السوسولوجيا بأنّ كلّ الوقائع والظواهر والأحداث هي ميدان للبحث العلمي الذي من أهمّ شروط علمية معرفته المنتجة ألاّ يمثل لحزمة الممنوعات والحواجز التي تضعها مرجعيات أخرى مثل الدين والأخلاق الجماعية ومؤسسات السلطة بأنواعها، وأنّ تخترق كلّ العوالم المغلقة أو المسكوت عنها أو المراد لها أن تظلّ في دائرة الغموض لأسباب عدّة تتعلّق بصراع الشرعيات والرساميل في كلّ حقل من الحقول الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في معناها المعلوم عن بياربورديو (Bernard. Lahire, 2001, p.70). ولذلك اتّسعت المناقشة في العقود الأخيرة ضمن المجتمع العلمي حول مسألة نزاهة البحث والدقّة العلمية من جهة والتحدّيات ذات الطبيعة الأخلاقية والمنهجية التي تواجه موثوقية النتائج خاصة في البحوث التي تثار حول المسائل المحظورة، والموضوعات الحساسة أو مع الأفراد والفئات الهشّة أو ضمن بيئات معادية، من جهة ثانية. ولقد كانت مناقشة الأخلاق في دراسة العلوم الاجتماعية دائما مهمة شاقة لباحث العلوم الاجتماعية ولذلك من المهم أن نضع في اعتبارنا أن الباحث يجب أن يتحمّل مسؤولية كفاءته وقدرته على ادارة بحثه وفقا للممارسات الأخلاقية وأخلاقيات البحث. فمجتمعات البحث الحساسة والتي تتضمن المجالات الخطرة أو العنيفة أو

المهمشة (الأحياء القصديرية والعشوائيات ومراكز الاحتجاز...) والظروف الاجتماعية (الأشخاص بلا أوراق ثبوت النسب أو بلا مأوى واللاجئون...) (Bouillon.Florence, 2005, pp 13-28) يثير مقاربته البحثية جملة من القضايا الاجتماعية والسياسية قد تخرج الباحث مؤسساتيا أو قانونيًا أو مجتمعيًا. وهذا الأهم بالنسبة لنا، بالنظر الى الآثار المحتملة على المشاركين (بما في ذلك الباحثون أنفسهم) وعلى مجتمع البحث عموما مثل إثارة مشاعر حساسة أو ضغطا نفسية قوية أو تجارب مؤلمة لدى المشاركين في البحث. وقد تنطوي أبحاث اجتماعية على مخاطر جسدية للمشاركين أو تعرضهم لمخاطر اجتماعية أو مخاطر المسؤولية الجنائية أو المدنية أو الخسائر المالية أو العيوب المهنية أو الإضرار بالسمعة.

يضعنا هذا الجدل الاليتيقي/الابستمولوجي أمام توجّهين رئيسيين ينتصر الأول الى وجود تلازم لا ينفصم بين المشغل الرئيس للبحث في العلوم الاجتماعية والانسانية المتجلى في تلبية كلّ الشروط الابستمولوجية والمنهجية التي تضمن علمية Scientificté ودقة Rigueur Scientifique ونزاهة intégrité scientifique وأحيادية Neutralité معرفته المنتجة وإيلاء المسألة الأخلاقية والاليتيقية أهمية بالغة تلازم سيرورة البحث. أما التوجّه الثاني فلا يجعل من الرهانات أو التحديات الأخلاقية شرطا مسلّطا على البحث من خارجه وأنما يتعاطى معها بما هي أحد أوجه أو مكونات الدقة والصرامة العلمية التي ترافق عملية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية منذ اختيار موضوع البحث الى نشر نتائجه بما يحزّر الباحث من القيود الخارجة عن بحثه ويدمج الأخلاقي في العلمي.

1.1 في إلزامية استجابة المسارات البحثية للإكراهات الأخلاقية والاليتيقية في البحوث الاجتماعية

دعنا نخوض أولاً مرحلة التدقيق المفاهيمي، ولو باقتضاب، من أجل رسم الحدود والفواصل بين مفاهيم ثلاث مركزية في البحث. فثمة، في الحقيقة، نوع ما من اللبس والالتباس بينها يوجب الفصل بينها. فعادة ما يستدعي الحديث عن التحديات الأخلاقية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية مفاهيم ثلاث وهي: الأخلاق Morale والاليتيكا éthique وقواعد التعامل المهني Déontologie. وتعني الأخلاق Morale جملة القيم والمبادئ والقواعد السلوكية التي تجعل من الممكن التمييز بين المقبول والمرفوض، العدل والظلم، بين الخير والشرّ، وبين المقبول وغير المقبول جماعيا أو مجتمعيًا في سياق تاريخي معيّن مفتوح على التغيّر والتبدّل مع الزمن. وتحيل الأخلاق الى مفاهيم الواجب والمحظور أو الممنوع وتشغل كخلفية مؤلّدة وموجّهة للأحكام التي نصدرها على أنفسنا وتقييم مواقفنا أو سلوكياتنا وتغييرها استجابة لقواعد وقيم معينة (René.Auclair, 1991). أمّا الاليتيكا Ethique فتعرّف على أنها فنّ توجيه سلوك الباحث بناء على مجموعة المبادئ والمعايير

والقيم التي تنظم عملية البحث وتوجهه بما يُعلي ايتيقيته أي توافقه مع مدونة المبادئ والمعايير الايتيقية. فهي تبتعد في مفهوما عن القواعد الأخلاقية لتحيلنا الى عملية تفكير في القواعد والقيم التي توجه البحث (Léo.Coutellec,2019) أو هي حسب الانثروبولوجي لوران دوسات **Laurent Dousset** «الأحكام المحددة المتخذة (أو لا) استجابة " لطرق التصرف والتفكير " (الأخلاق) من خلال توقع أحكامها" (Laurent. Dousset and Al, 2014, pp 253-271). فغالبا ما ينظر إلى ايتيقا البحث على أنها "أداة محايدة قادرة على ترشيد القرارات الجماعية فيما يتعلق بوعي الأفراد بمسؤولياتهم كفعاين ضمن الأنظمة الجماعية" (Sarah. Carvallo, 2019). وتتأسس إشكالية ايتيقا البحث في مجال البحث حسب Connolly على بعدين أساسيين وهما تصرفات الباحث سواء في سلوكياته أو في مواقفه (Paul. Connolly, 2003) على سبيل المثال حرصه على عدم التأثير السلبي للبحث على مجتمع بحثه أو على المشاركين في البحث أو أيضا توظيف واستغلال نتائجه. أما البعد الثاني فيلامس عنصر احترام الباحث للذوات التي يدرسها. وهو ما يقتضي منه اتخاذ الترتيب والإجراءات الكفيلة باحترام إرادتهم وكرامتهم وخصوصياتهم (Jean-Marie. V Der M, 1999). وإذا انتقلنا الى قواعد التعامل المهني، فإننا ننتقل الى مدونة قواعد وواجبات تقوعد أداء أفراد يمارسون وظيفة في إطار نشاط مهني ما مثل المدرس في قطاع التعليم العالي أو الباحث في حقل السوسيولوجيا أو التاريخ أو الانثروبولوجيا. فلا يتعلق ميدانها بالقواعد بمعناها الأخلاقي رغم بناء الواجبات المهنية على قاعدة الأخلاق (Lorena. P, & Julien. D, 2017, Genève, pp 107-111). ولا يمنع هذا التمييز المفاهيمي بينها أن تكون حاضرة بقوة في مسار البحث الذي يتطلع الى الاستجابة المزدوجة لمقتضيات الدقة والصرامة العلمية ورهاناته الأخلاقية الموصولة بطبيعة البحث وأهدافه. وفي سياق العلوم الاجتماعية والإنسانية، تلعب الأخلاق والأخلاقيات وقواعد التعامل المهني أدوارا مهمة في إجراء البحث المسؤول. حيث تضع الأخلاق إطارا عاما للقيم والمعايير الاجتماعية، بينما تعزز الأخلاقيات التفكير العميق حول المبادئ والخيارات الأخلاقية. أما الديانتولوجيا، من جانبها، فتضع قواعد محددة لتوجيه الباحثين في ممارساتهم المهنية وتفاعلاتهم (Eirick Prairat , 2009, pp 7-21).

ويتعلق السؤال المركزي للرهانات الأخلاقية للبحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية بمدى الزامية وضع الباحث في اعتباره التحديات الأخلاقية التي يطرحها البحث في المسائل والموضوعات الاجتماعية (Lorena. P, & Julien. D, 2017, Genève, pp 107-111) ذات الحساسية مجتمعيًا أو المصنفة ضمن التابوهات والاستجابة لهذه التحديات أو الاكراهات الأخلاقية والايثيقية. فلا شك أن العلم سواء في العلوم الصحيحة أو العلوم الاجتماعية والإنسانية قد يخرق عوالم تحصنها الأخلاق أو الدين أو العرف الاجتماعي من أن تكون موضوعات للبحث ونشر المعارف العلمية المتصلة

بها أو يلتجئ الباحث الى ما يسمى بالخداع المتعمّد (*Tromperie Délibérée*) (François. B ; Robert. B, 2009, pp 87 -108) عبر إخفاء هويته على المبحوثين من أجل الوصول الى المعطيات والبيانات التي يحتاجها البحث دون معارضة أو رفض من قبل مكوّنات مجتمع بحثه. ففي الواقع، من المستحيل في كلّ بحث حول العالم الاجتماعي (عالم الثقافة)، فصل الأخلاق عن البحث، والمقاربات المنهجية، والمواقف الابستمولوجية، والتداعيات السياسية والعلاقات الشخصية (Tsering, McKenzie, 2019). ولذلك يعتقد هذا التوجّه في حاجة البحث العلمي دائما الى إطار أخلاقي في معنى خضوعه الى قواعد أخلاقية وقيم ومبادئ ترافق الباحث في بناء مسار بحثه وبخاصة عند نزوله للميدان واجراء للاستقصاء البحثي أو المقابلات وغيرها من تقنيات البحث وجمع البيانات والمعلومات عن موضوع بحثه ضمن ميادين البحث الحساسة. *Sensible* فدراسة مجتمع بحث هتّى مثل الأمّهات العازبات أو اللواتي تعرّضن الى الاعتداء الجنسي أو المهاجرات المحترفات للجنس أو المثلية يولّد تحدّيات ورهانات أخلاقية وأيتيقية ليس للباحث أن يتجاهل أهميتها أو أن يقفز عليها ولو بدافع التقيّد بمقتضيات الصرامة العلمية كمفهوم يتوسّل الدقّة والموضوعية والتمشي المنهجي العلمي الذي يؤسّس لصدقية ووثوقية النتائج (Arturo. Casadevall et al, 2016). فهذه الفئات الضعيفة أو الهشة (Robert. Castel, 2009) يعرّضها البحث الى التعرية مجتمعيّا أي كشف عوالمها الخاصة التي تحرص على مجهوليتها المجتمعية التي تحميها وتحصّنها من الوصم الاجتماعي أو الوقوع في دائرة مزيد الاستغلال أو في دائرة الانتقام العائلي وما الى ذلك من الآثار النفسية والاجتماعية التي قد يكون البحث الميداني سببا لتعريض هذه الفئات أو الأفراد الى الضرر المادي والنفسي والاجتماعي الذي قد يترتّب عن تحويلهم الى موضوع بحث أو استقصاء أو مسح وانكشاف عوالمهم متفاوتة الهشاشة. هذا ما يمنح المعطى الايتيقي والأخلاقي قوّة حضور أثقل في عملية البحث ويقتضي أو يفرض على الباحثين الرئيسيين والميدانيين حشد جملة من الإجراءات والترتيبات المنهجية (Annie.B ; Selim.M , 2014) وقواعد سلوك وتعامل اثناء العمل الميداني قادرة على تأمين حقوق المبحوثين في سرية المعلومات *Confidentialité* التي تخص عوالمهم الخاصة ووضعياتهم الهشة *Vulnérable* (بما تعنيه من عدم الأمان *Insécurité* وعدم اليقين *Incertitude* والضعف *Fragilité* والهشاشة *Précarité*) (Hélène.Thomas, 2010) وفي عدم تعريضهم لخطر وقوعهم تحت طائلة القانون باعتبار أن شهاداتهم المقدّمة قد تقتزن بممارسات منحرفة أو غير قانونية أو تعريضهم الى مزيد من الوصم الاجتماعي. (Erving. Goffman, 1975) من أجل ذلك لا يستقيم أن يعفى البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية من إيلاء اعتبار وأهمية للتحديّات الأخلاقية باعتبار أنّه يدرس الانسان في بيئته الاجتماعية حيث يمكن أن يؤدي الفشل في معالجة

المخاوف الأخلاقية إلى آثار سلبية أو ضرر، وتقويض مصداقية البحث، وتقويض ثقة الجمهور في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

يطرح المعطى الأخلاقي والايثيقي للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية في مستويات عدّة ومتعدّدة تمسّ موضوع ومجتمع البحث والمنهج ذاته والآثار المترتبة عن عملية البحث واستخدام أو استغلال نتائجه. فالبحوث الاجتماعية حول الموضوعات الحساسة والمحزّمة يمكن أن تثير قضايا أخلاقية مهمّة، لا سيما فيما يتعلّق بحقوق المبحوثين وحمايتهم، والخصوصيات الثقافية لمجتمع البحث. فالصرامة العلمية ليست كافية لضمان البحث الأخلاقي في العلوم الاجتماعية والإنسانية في معنى اجراء البحث في احترام واستجابة لجملة من القواعد التي تحصّن مجتمع البحث من خرق خصوصياته أو سلبه ارادته في قبول أو رفض المشاركة في سيرورة البحث. وهو ما يوجب رابطا وثيقا بين الدقّة والصرامة العلمية المرجوة والبعد الأخلاقي الذي يثيره البحث في حدّ ذاته أو نتائجها العلمية التي يتوجّب أن تلبّي شروط الموضوعية والشفافية والحياد والتجرّد من الحسّ المشترك ومن الأحكام المسبقة أو الأحكام القيمية أو أيضا من كلّ حدود غير ابستيمولوجية توضع أمام البحث. ويتلّزم ضمن هذه المعادلة المعقّدة مسارين مترابطين. يلزم المسار الأوّل الباحث بوضع استراتيجية بحثية لأخلقة البحث السوسولوجي أو الأنثروبولوجي أو غيره من البحوث الاجتماعية والإنسانية في معنى يتجاوز منطق الخير والشر أو الأخلاق الغائية بعبارة بول ريكور (Paul. Ricoeur, 1990) الى الخضوع الأخلاقي الى قواعد ومبادئ توجيهية للبحث أي الإيثيقا. أمّا المسار الثاني فهو مؤسسي يحيلنا الى الرقابة الأخلاقية للبحوث الاجتماعية والإنسانية والتي تتولّاها مؤسسات أو هيئات أكاديمية رسمية تمارس الرقابة الأخلاقية على البحوث التي موضوعها الإنسان في عالمه الطبيعي واليومي. وهي مؤسسات نشأت تاريخيا في مجال البحوث البيو الطبية التي كانت المبادرة في طرح التحدّيات الأخلاقية للبحوث حول الإنسان أو العلاقة بين العلم والقيم منذ ثمانينات القرن الماضي (Sarah. Carvallo, 2019). وأصبحت تطرح بقوة في حقل البحوث الاجتماعية والإنسانية.

2.1 البحث الاجتماعي والبعد الأخلاقي للبحث: المشكل الخطأ Faux Problème

على خلاف التوجّه الأوّل فإنّ البعض يعتبر أنّنا نثير بوضعنا البحث العلمي في تقابل مع البعد الأخلاقي مشكلا مفتعلا لا في معنى استبعاد أهمية هذا الأخير في البحث العلمي ضمن العلوم الاجتماعية والإنسانية وأنما قناعة بأنّ الصرامة والدقّة العلمية التي تقيّد وتوجّه التمشي البحثي العلمي تشكّل في حدّ ذاتها ضمانا أو رافعة ضامنة لخلق استجابة تلقائية للأخلاقيات العلمية وللتحدّيات الأخلاقية للبحث التي تتجدّد باستمرار مع ما يعرفه العلم من تطوّر لا يتوقف (Vilma.

Žydžiūnaitė, 2018, p20). فالباحث ليس مضطرا بحسب سارج لاتوش Latouche ل طرح السؤال الأخلاقي على نفسه لأنه يندرج تلقائيا فيما يمكن تسميته بالاستقامة العلمية. (J.-M. Larouche, 2019, pp 479 à 501)، كما أنّ حصر القاعدة في أخلاق موضوعية (علمية) هو عملية احتيال مثلما أنّ إنفلاق العلم في العلمية هو أيضا خيانة فكرية. (Serge.Latouche, 1987, pp 7-16). فالأمر يتعلّق عند سليناف Sallenave مثلا بالحقّ السليم للباحث أو ما يسميه براشاي Brachet بالتطبيق التلقائي لإيتيقا البحث من قبل الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية (Escoda. Roca i, 2020, pp 151-172). فمن البديهي بالنسبة إليه أنّه عندما يتعاطى الباحث مع موضوع بحثه الموسوم بالحساسية الاجتماعية بجدية عالية وحذر منهجي فإنّه ، بمنطق الصرامة العلمية التي تحكم قناعاته وأدبياته البحثية ، سيضع تلقائيا هذه الاشكاليات الأخلاقية أو المتّصلة بأخلاقيات البحث في صلب اهتماماته ويجد حلاً للتوفيق بين مقتضيات الدقّة والصرامة العلمية من جهة واحترام خصوصيات ومعطيات المبحوثين من جهة ثانية عبر إخفاء هويّتهم ، مثلا، من أجل التوفيق في نشر هذه المعطيات في تناسق ناجح مع المبادئ والقيم الأخلاقية ومبادئ التعامل المهني (Selma. Bendjaballah, et al, 2018, p208). يرفض إذا هذا التوجّه الفصل بين المرجعيات الابدستيمولوجية والنظرية والمنهجية للبحث العلمي التي تقيّد وتقود الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية وبين التوجيهات الأخلاقية وأخلاقيات البحث بما يجعل هذا البعد الأخير دينامية داخلية للبحث وليست اكراهات خارجية أو دينامية خارجة عن معقولة البحث العلمي وبخاصة في العلوم الإنسانية التي قد تشكّل كثيرا من موضوعاته البحثية ميدانا مغلقا أو ممنوعا بقوة سلطة الرمز والمقدّس أو سلطة القانون أو المنظومة الأخلاقية المجتمعية. ولا ينفي هذا الاتجاه ضرورة أن يضع الباحث ضمن العلوم الاجتماعية والإنسانية في اعتباره منذ سؤال الانطلاق التحدّيات الأخلاقية التي قد تواجه البحث في موضوعات مثل الميول المثلية أو الاعتداء الجنسي او الممارسة الجنسية خارج إطار الزواج وغيرها من الموضوعات المحرّجة مجتمعيّا. الاّ أنّه يعتبر انضباط البحث من خارجه لمنظومة قواعد اخلاقيات البحث أو القيم الأخلاقية وما تنتج من موانع ونواهي وتحذيرات وتوجّسات يفرمل ويكبح عملية البحث. وهو ما قد يجعلها موضوع مقاومة ورفض لتحوّلها الى قيود خارجية تمسّ من شروط الدقّة والصرامة العلمية والاستقلالية والاختيار الحرّ للموضوع ولميدان البحث ومنع الوصول إلى مواضيع بحثية معينة أو إلى جماعات اجتماعية تصنّف ضمن الجماعات الهشّة. وتبعا لتضييق ارتهاان البحث في العلوم الاجتماعية لضوابط أخلاقية (Hubert.Doucet , 2010, pp 13-30)، من قبل الهيئات الرسمية أو المواثيق الدولية والوطنية، على التجديد والابتكار ومسيرة البحث للتحوّلات المجتمعية وللقضايا المجتمعية الحساسة، يدعو المنتصرين لهذا النهج إلى

تبيّن تمثيّي أخلاقي داخلي للبحث (Escoda. Roca i, 2020, pp 151-172) ملازم لمساره أي التفكير الأخلاقي صلب وأثناء الممارسة البحثية. وهو ما يؤسس لثقافة أخلاقيات بحث جديدة ترافق سيروية البحث كدينامية داخلية تخلق توافقا مرجوًا وضروريًا للقواعد الأخلاقية وأخلاقيات البحث مع معقولية البحث العلمي بما يضمن تحقيق تلازم الوفاء للصرامة العلمية واحترام القيم والمبادئ الأخلاقية ولأخلاقيات البحث مثل السرية واحترام الخصوصيات والموافقة الإرادية والوعي للمشاركين في البحث وحماية حقوقهم وعدم تعريضهم للضرر أو المخاطر القانونية أو الاجتماعية وما إلى ذلك من التحديات الأخلاقية التي سنخوض فيها بالتدقيق في قسم قادم من البحث. وفي هذا السياق يحضرنا ما أطلق عليه Coutellec إبستيمولوجيا الإيتيقا *épistémologie de l'éthique* التي تهدف " إلى توفير بعض عناصر تحديد المواقع (المفاهيمية والابستيمولوجية) لتعزيز أهمية أخلاقيات البحث التي تفهم على أنها أخلاقيات عامة تتكوّن من الأبعاد الأكسيولوجية والابستيمولوجية والمعيارية والسياسية للعلم (Léo.Coutellec,2019).

يحاول هذا التوجّه أو الموقف، من وجهة نظرنا التي تنتصر لهذا الرأي في هذا البحث، أن يختصر المسافة الفاصلة بين الاشكاليات الإيتيقية والأسئلة المنهجية والابستيمولوجية في البحث ضمن العلوم الاجتماعية والإنسانية في أضيق أفقها لتجاوز التعارض الممكن بين المشكلات الابستيمولوجية والمنهجية من جهة والرهانات الأخلاقية التي يلزم بها البحث مجتمعيًا أو عبر هيئات رقابة أخلاقية البحث، من خلال منظومته الأخلاقية أو مؤسسيا عبر ما يطلق عليه بإيتيقا البحث أو في معنى مجاور له بأخلاقيات المهنة. وهو بذلك مقارنة انعكاسية *Approche Réflexive* أي تفكيرية في أخلاقيات بحث متجدّرة أو مندرجة في الممارسة البحثية أساسا ويقترن بهدف الدقّة والنزاهة العلمية في البحوث الاجتماعية (8-7pp,2017.B-j.Claudine).

ولأنّ الصرامة والنزاهة العلمية تشغل الباحث وتستحوذ على تفكيره طوال مسار البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية فإنّ الباحث يكون على وعي تامّ وحرص على الاستجابة إلى حدّ كبير لقيم ومعايير ترتبط بشكل وثيق بالنزاهة والصرامة العلمية مثل الواجهة الفكرية للباحث ضمن الحقل الأكاديمي أو العلمي وحذره الشديد في احترام مبادئ وأخلاقيات البحث والتعامل المهني لعلمه ووعيه بخضوع بحثه إلى عملية مراجعة أو تحقّق من النتائج من قبل الباحثين الآخرين وتأمين المجتمع العلمي والمجتمع الأكاديمي للممارسات البحثية الجادّة. وتقتضي أو تفرض الدقّة العلمية مسؤولية شخصية من جانب الباحثين. وهو ما يعني تبنيهم موقفا أخلاقيا محايثا لعملية البحث والحرص على جودة تصميم البحث وتناسب المنهج المعتمد وجدية ودقّة التحليل وتأويل النتائج. وتستحضرنا حجة دينجوال Dingwall في رفض تسليط رقابة أخلاقية على الباحثين في العلوم

الاجتماعية، أنّ علماء الاجتماع، مقارنة مع الأطباء الذين يقومون بالتجارب الطبية، غير قادرين على إيذاء المشاركين في بحوثهم بل على العكس من ذلك فهم في تفاوض مستمرة لضمان حسن نية المستجوبين الموافقين على المشاركة في البحث (Carine. V ; Keller. R, 2008, pp. 128-141) ودوام رغبتهم واستعدادهم لتقديم المعطيات المنتظرة منهم. ثم إنّ الباحث في الانثروبولوجيا أو علم الاجتماع مثلاً يجتهد في عدم ضجر المبحوثين منه لأنّ ذلك يفضي الى الانسحاب من المحادثة أو عدم انجاز الاستقصاء البحثي. ولذلك فإنّ الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية يحمل هذا الحرص الذاتي والوعي المكتسب أثناء التكوين النظري والمنهجي على نجاح عمله الميداني. ويعتبر أصحاب هذه الأطروحة أن بعض المبادئ الأخلاقية في البحث وأهمها أي الموافقة الواعية والمستنيرة للمبحوثين لا تخدم البحث بل قد تفضي الى عدم البلوغ للمعلومات والمعطيات المنتظرة وبناء عليه يصبح إخفاء هوية الباحث ضرورة من أجل الوصول الى هذه البيانات المطلوبة، خاصة في الموضوعات الحساسة والممنوعة مثال دراسة Humphreys العلاقات الجنسية السرية داخل بيوت الراحة (Laud. Humphreys, 2007) في أمريكا التي تقوم على السرعة والمجهولية التامة ، مما يعني أن القاعدة الأولى التي يلتزم بها الطرفين هي الصمت. وبالتالي سيعتمد نقلهم لما يبحثون عنه للأخريين عبر الايماء الجسدي وعبر طقوس تفاعل متبادلة تحقق هذا النقل الصامت والمخفي للرغبات بينهم. تصبح الموافقة المستنيرة في مثل هذه الميادين البحثية الحساسة والخفية شرطاً غير عملي إضافة الى أنّه معطلاً أو ناسفاً للدراسة من أساسها. تكشف هذه الدراسة المأزق الذي يجد الباحث الميداني نفسه في مثل هذه الدراسات: كيف يكون ملاحظاً لموضوع بحثه دون أن يؤثر في سيرورة التفاعل وكيف يستجيب للتحديات الأخلاقية التي تثيرها هكذا موضوعات دون أن يمس ذلك من سير البحث (Rogel. Thierry, 2007). وهنا يتوزّع المجتمع الأكاديمي بين موقفين. يعتبر الأول انجاز هذه البحوث والدراسات الحساسة في تغاضي عن بعض القواعد والمبادئ الأخلاقية عملاً رائداً في حين يستنكره البعض الذي يعتبرونه نتيجة عمل غير أخلاقي أو مخالف لأخلاقيات البحث والتعامل المهني في البحث (Carine. V ; Keller. R, 2008, p. 137).

من المهم، إذا، التأكيد على أنّ الأخلاقيات والصرامة العلمية يتقاطعان ويتلازمان بما يجعل كلّ منهما يعزّز الآخر دون الفصل بينهما من حيث الأسبقية أو التبعية. فإذا كانت الدقة العلمية ضامنة لصحة وموثوقية النتائج فإنّ البعد الأخلاقي والالتزام المتزامن بأخلاقيات البحث المتقاسمة ضمن المجتمع العلمي والأكاديمي يعزّز الثقة في البحث وسلامته إضافة الى ما يضمنه من احترام حقوق وكرامة المشاركين في البحث. من أجل ذلك يكون هدف تحقيق التوازن الضروري بين الدقة العلمية والالتزام الأخلاقي هو المفتاح، في نظرنا، لضمان الثقة والنزاهة في النتائج العلمية وجدواها

الاجتماعية دون أن نجعل الاعتبارات والتحديات الأخلاقية ممارسة خارجة عن مسار البحث وسيرورته الداخلية قد يكون لتعليماتها عواقب سلبية على البحث ذاته بما يمكن أن تفرضه من حدود ورقابة قد تؤثر على اختيارات البحث وأسئلته الإشكالية ورهاناته البحثية.

2. التَّحَدِّيات وَالْإِشْكَالِيَّاتُ الْأَخْلَاقِيَّةُ لِلْبَحْثِ فِي الْعُلُومِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ

لا تشكّل الرهانات الأخلاقية للبحوث العلمية موضوع اختلاف حول أهميتها البالغة إلا أن ذلك لا يحجب عنّا حزمة من الحقائق المتّصلة بها. فعالمياً ثمة تفاوت تاريخي بين المجتمعات والدول للتنبّه الى أهمية هذا البعد في ضمان الصرامة والنزاهة العلمية المنشودة، حيث تُعزى الأسبقية للمجتمع الأكاديمي الأمريكي الذي بادر منذ ستينات القرن الماضي (1960) عبر جمعية العلوم السياسية الأمريكية (APSA) وجمعية علم الاجتماع الأمريكية (ASA) بتأسيس لجان أخلاقية وصياغة ميثاق أخلاقيات البحث *Charte éthique* ومنظومة قواعد أخلاقية *Code éthique* مؤطرة للبحث العلمي، على خلاف الدول الأوروبية والمجتمعات العربية أيضاً التي التفتت سياساتها البحثية الى المعطى الأخلاقي في البحوث ضمن العلوم الاجتماعية بصفة متأخرة نوعاً ما عن المجتمع الأمريكي (Claudine.B-j,2017,p8) فالمجتمعات العربية لم تشذّ عن القاعدة حيث أنّ التجارب الأولى في وضع منظومة قواعد أخلاقية للبحث تمت داخل حقل البحوث البيو طبية ضمن التجارب الأمريكية والأوروبية والعربية: من ذلك التجربة التونسية 1990 في سنّ قانون يضبط إجراءات تجربة الأدوية على الأشخاص أو التجربة الكويتية (2001) والأردنية (2009) في استحداث قانون البحث الطبي وسنّ ميثاق الأخلاق الارشادية للبحث البيو طبي، دون أن نغفل عن التجربة المغربية (2010) فيما يخصّ حماية المشاركين في البحوث الطبية (اليونسكو، 2019، ص11). ولم تعمّم المدونة الأخلاقية على البحوث غير الطبية أي الاجتماعية والإنسانية في المجتمعات العربية إلا بشكل متأخر من ذلك التجربة الجزائرية (2016) المتمثلة استصدار قانون الوقاية من السرقة العلمية أو أيضاً التجربة اللبنانية (2016) في وضع مدونة مبادئ أخلاقية تشمل البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية (اليونسكو، 2019، ص11). وعلى الرغم من أنّ مضامين هذه المدونات أو المواثيق وسياقاتها التي وضعت فيها (العلوم الطبية قبل الإنسانية والمجتمع الأمريكي قبل المجتمعات الأوروبية والعربية) فإنّه يمكن حصر التحديات والرهانات الأخلاقية الموصولة بالبحوث العلمية في متعدّد مراحل النظرية والتطبيقية في القواعد والمبادئ التالية:

1.2 الموافقة الارادية والمستنيرة والموافقة الحرة والعلمية

تعد الموافقة الارادية المستنيرة مبدأ أخلاقياً حاسماً في ضمان البعد الأخلاقي في البحوث الاجتماعية والانسانية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالقضايا البحثية الحساسة مجتمعيًا حيث يتطلب تحقيقه أن يكون لدى المشاركين معرفة كافية بطبيعة البحث وموضوعه وطرق جمع البيانات ووعي بالمخاطر التي ينطوي عليها البحث الاجتماعي وعلى دراية تامة بحقوقهم كمشاركين في البحث. ولعل أهم عنصر في هذا المبدأ يرتبط بشرط الحرية أي إرادة المبحوثين الحرة والمبنية على فهم كاف بالبحث في اتخاذ قرارهم بالمشاركة أو عدم المشاركة مثلما الحرية التامة في الانسحاب متى غلب الشك اليقين عندهم. ولذلك يتعين على الباحثين إبلاغهم بطريقة موضوعية ومحايدة، دون ضغط أو تأثير بكافة التفاصيل المتعلقة بالبحث، مثل الغرض من الدراسة والطريقة التي سيتم بها جمع البيانات وأسئلة الاستبانة أو المقابلة، وبأي مخاطر محتملة قد تنشأ عن المشاركة في الدراسة. وفي حالة البحوث الاجتماعية حول المواضيع الحساسة يتوجب على الباحثين أخلاقياً توضيح الطريقة التي سيتم بها حفظ سرية البيانات المجمعة، وضمان عدم الكشف عن هوية المشاركين إذا كانوا يرغبون في ذلك. وتجدر الإشارة الى أنّ هذا المبدأ يطلب شرط الاستقلالية الذي يضمن حق الأفراد في تحديد الأنشطة التي سيشاركون فيها أو لن يشاركوا فيها. ضمناً. وتتطلب الاستقلالية أن يكون المشاركون في البحث قادرين على فهم ما يطلب منهم القيام به، وإصدار حكم منطقي حول تأثير المشاركة عليهم، واختيار المشاركة خالية من التأثير القسري (Vinod. S, & R.K. Nagwanshee, 2016). فمن الضروري أن يفهم المشاركون في البحث الاجتماعي ما تم شرحه ويجب أن تتاح له الفرصة لطرح الأسئلة والإجابة عليها من قبل شخص مطلع تماماً على تفاصيل الدراسة البحثية. يجب ، أيضاً ، كتابة وثيقة الموافقة المستنيرة بلغة غير رسمية، مع تجنّب أي لغة تقنية غامضة. مثلما يجب أن يكون المشاركون المحتملون قادرين على قراءة و / أو فهم اللغة التي تمت بها كتابة نموذج الموافقة (Yip. Camille and Al, 2016, pp 684-688).

إلاّ أنّه يجب لفت الانتباه الى أنّ الحصول على الموافقة المستنيرة أمر صعب في البحث الاجتماعي مقارنة بالبحوث البيو طبية التي تشكّل ضمنها تاريخياً هذا المبدأ، خاصة عندما يكون المشاركون في وضعية هشاشة نفسية *Fragilité psychique* أو اجتماعية أو لديهم قدرة محدودة على تقديم الموافقة المستنيرة (Sara. Painter, 2020). ذلك أنّ الحصول على موافقة الأفراد هو المعضلة الأخلاقية الأولى التي يواجهها الباحثين في سياقات لا يعتبر فيها شرط احترام مبدأ استقلالية الأفراد المبحوثين وحقهم في الحصول على المعلومات أمراً مفروغاً منه. ففي البلدان الفقيرة أو بين الفئات السكانية الضعيفة مثلاً، "غالبا ما يكون المشاركون في الدراسة غير مدرّكين لمخاطر وفوائد

المشاركة الفعلية ولا يعرفون ما إذا كانت المساعدة مشروطة بالمشاركة أو ما إذا كانت المشاركة تساعدهم في الحصول على مزيد من المساعدة" (Christian. L, Magali. B, 2022, pp 73-81).

وإن كان يتوجب على الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية التأكد من حصولهم على موافقة مستنيرة بطريقة سليمة ومناسبة، وأنهم اتخذوا فعلاً خطوات وتراتبية منهجية ملائمة لحماية حقوق وكرامة المشاركين. فإنه يجب الإقرار بأن استعادة قواعد اخلاقيات البحث أو مبادئ أخلاقية البحث في السياق الطبي لا يستقيم بالصيغة ذاتها بالنظر الى خصوصية البحث السوسولوجي أو الانثروبولوجي أو الاثنولوجي (Alice Desclaux, 2008, pp77-84) الذي يقتضي على خلاف البحوث البيو طبية الموافقة المستمرة التي لا تنتهي عند توقيع بسيط في بداية الدراسة. يجب على الباحث في سوسولوجيا الفهم بالخصوص أو الانثروبولوجيا أو الدراسات الاثنولوجية لغايات بحثية الحفاظ على تواصل مفتوح مع المشاركين طوال فترة البحث، وإبقائهم على اطلاع بالتطورات والحصول على موافقتهم على أي تعديلات مهمة تطرأ على سيرورة البحث.

2.2. السرية وعدم الكشف عن هوية المستجيبين: La confidentialité et l'anonymat

يُعتبر حماية خصوصية وسرية المشاركين في الدراسات البحثية أمراً هاماً وضرورياً من الناحية الأخلاقية ومن باب إتيقا البحث عند إجراء أبحاث علمية نوعية أو كمية، يجب على الباحثين أن يلتزموا بسياسات حماية خصوصية المبحوثين أفراداً كانوا أم فئات وجماعات اجتماعية وأن يضمنوا عدم الكشف عن هوياتهم خاصة إذا تعلّق الأمر بفئات هشة كما أسلفنا والتي قد يكون كشف هويتهم مدخلاً للوصم الاجتماعي أو للإضرار بهم وتأزيم وضعياتهم النفسية أو الاجتماعية. ذلك أنّ خصوصية المشاركين يعتبر أمراً أخلاقياً ويقترن باحترام الحقوق الشخصية والاهتمام بالكرامة والأمان النفسي والاجتماعي للأفراد الذين وافقوا على المشاركة في الدراسة. ويقتضي الحفاظ على خصوصية المشاركين في البحث اتخاذ الإجراءات الكافية لإبقاء بياناتهم ومعطياتهم الشخصية والمعلومات الحساسة المجمّعة سرّية وعدم كشف هوياتهم مثل استعمال تقنيات جمع البيانات المجهولة أو ذات الأسماء المستعارة لحماية هوية المشاركين أو استخدام طرق التشفير وفكّ التشفير لمنع ربط البيانات الفردية بمشاركين محدّدين. ويجب على الباحثين أيضاً أن يكونوا شفافين مع المبحوثين حول كيفية جمع واستخدام البيانات في دراستهم، وذلك لضمان توثيق العملية والالتزام بمبادئ الأخلاق البحثية الذي يدعّم نزاهة البحث ويعزّز الثقة في نتائجه. فضحايا العنف السياسي والعنف الجنسي من الذكور أو الاناث أو محترفات الجنس أو متعاطي المخدرات وغيرهم من الوضعيات والسياقات الاجتماعية الحساسة لا يجب أن يعود عليهم موافقتهم على المشاركة في

البحث بالضرر ولذلك يتوجب على الباحثين في مثل هذه القضايا الاجتماعية أن يكون شديد الحذر والحيلة في توظيف واستغلال المعطيات والبيانات المجمّعة من الميدان في البحث والتعريف بالقضايا الاجتماعية الحساسة مع ضمان عدم تسرب ما يكشف هويات المبحوثين ويخترق خصوصياتهم (J.M. Bengo et Al, 2008). هذا يعني أن موضوعات البحث محمية من خلال عدم التعرف على هويات المبحوثين، أي أنه لا يجوز استخدام أسمائهم في أي مادة مكتوبة تتعلق بالبحث أو في مناقشات مشروع البحث، ويتم تخزين جميع مواد المقابلة في مكان آمن لا يمكن لأحد غير الباحثين الوصول إليه.

3.2 الحساسية الثقافية Sensibilité Culturelle :

غالبا ما تتضمن أبحاث العلوم الاجتماعية والإنسانية دراسة جماعات تختلف في ثقافتها أو خصوصياتها الثقافية. ولذا يتوجب على الباحثين إظهار حساسية تجاه الاختلافات الثقافية وتجنب أي أفعال قد تسبب إلى الأعراف والمعتقدات الثقافية للمشاركين أو لا تحترمها. ويشير مبدأ الحساسية الثقافية إلى قدرة الباحثين على التعرف على الأبعاد الثقافية والاجتماعية للموضوعات التي تمت دراستها في أبحاثهم وفهمها ومراعاتها عند إجراء دراسات تشمل أفرادا أو جماعات اجتماعية من ثقافات مختلفة لتجنب التحيزات والتفسيرات الخاطئة، مع احترام التنوع والخصائص الثقافية. تفيد الحساسية الثقافية معاني عدّة يمكن تلخيصها استعراضها في النقاط التالية:

أ. أن يأخذ الباحثين في الاعتبار السياق الثقافي الذي تجري فيه أبحاثهم. ويتضمن ذلك فهم القيم والمعايير والمعتقدات والممارسات الثقافية للأفراد أو الجماعات المبحوثة التي يمكن أن تؤثر على سلوكيات المشاركين واستجاباتهم وتصوّراتهم.

ب. التوظيف الأخلاقي للمشاركين: يجب على الباحثين تجنب أي شكل من أشكال المحسوبية أو التمييز على أساس الانتماء الثقافي في اختيار المشاركين والتأكد من أنّ طرق ومعايير الاختيار مناسبة ثقافيا.

ت. المنهجيات المكيفة Méthodologies adaptées: إذا تمّ استخدام أدوات البحث، مثل الاستبيانات، في سياقات مختلفة ثقافيا، فمن الضروري اعتماد منهجيات تستجيب لهذا التنوع الثقافي في مجتمعات الدراسة وتكييف أدوات وتقنيات بشكل مناسب لتكون مفهومة وذات صلة بالمشاركين من مختلف الثقافات أي مراعاة الاختلافات الثقافية في تصميم الدراسة وجمع البيانات وتحليل النتائج.

ث. **احترام المعايير الأخلاقية** *Respect des Valeurs et des Normes Culturelles*: يجب على الباحثين احترام المعايير الأخلاقية الخاصة بكل ثقافة والتأكد من إجراء أبحاثهم بطريقة محترمة ومسؤولة. ويجب على الباحثين الانخراط في ممارسات البحث الأخلاقية التي تعزز المشاركة النشطة والعادلة للمشاركين. وهذا يعني احترام الباحثين للقيم والمعايير الثقافية وحقوق المشاركين في البحث.

ج. **استشكال التحيزات الثقافية**: يجب أن يكون الباحثون على دراية بالانحيازات الثقافية الخاصة بهم والتي يمكن أن تؤثر على إدراكهم وتفسيرهم للبيانات. ويتم ذلك عبر ممارسة النقد الذاتي والتفكير في هذه الانحيازات لإنتاج بحث موضوعي وموثوق فيه.

ح. **التعاون مع الباحثين المحليين** *Collaboration avec des experts locaux*: يمكن أن يكون العمل بالتعاون مع الباحثين المحليين أو الخبراء ضمن المجتمع أو الثقافة المدروسة مفيدا لفهم القضايا الثقافية وتسهيل الوصول الى المجتمعات المبحوثة ولفهم القيم والأعراف والممارسات الثقافية لمجتمع البحث بشكل أفضل (Matthias. Finger, 1989, pp. 217-246).

خ. **نشر نتائج البحث**: يجب على الباحثين توخي الحذر الشديد، عند نشر نتائج أبحاثهم تجنباً لأي تعميم قد يسيء لثقافة أو لمجتمع بأكمله أو جماعات وفئات اجتماعية بعينها. فمن المهم أن يعي الباحث الفروق الدقيقة والتنوع الثقافي الذي يمكن أن يوجد داخل نفس الجماعة الاجتماعية.

صفوة القول أنّ أخذ الباحثين بالاعتبار مبدأ الحساسية الثقافية في أبحاث العلوم الاجتماعية يعزز جودة بحوثهم ويعمّق الفهم الشامل للظواهر الاجتماعية وتعزيز علاقات الاحترام مع المجتمعات المدروسة. لذا يجب على الباحثين مراعاة الاختلافات الثقافية في عملهم لضمان احترام القيم والمعايير الثقافية للمشاركين في الدراسة.

4.2. اختلال توازن القوة بين الباحثين والمبحوثين:

يشكّل اختلال توازن القوة بين الباحثين والمبحوثين تحدياً أخلاقياً في العلوم الاجتماعية والإنسانية. يمكن للباحثين أن يمارسوا سلطتهم ونفوذهم على المبحوثين، وهذا يمكن أن يؤثر على جودة البيانات التي يتم جمعها وتحليلها. وبالتالي، يتعين على الباحثين أن يكونوا حذرين ومسؤولين في التعامل مع المبحوثين، وأن يضمنوا أن يتم احترام حقوقهم وحريتهم في المشاركة أو عدم المشاركة في الدراسة. فمن الممكن أن يؤدي اختلال التوازن في القوة إلى حدوث انتهاكات أخلاقية، مثل إجبار المبحوثين على المشاركة في الدراسة أو الحصول على موافقتهم بطرق غير مشروعة أو عدم إعطائهم

معلومات كافية عن طبيعة الدراسة وأهدافها. وهذا يعتبر غير أخلاقي ويمكن أن يؤثر على مصداقية ونزاهة الدراسة. لذلك، يتعين على الباحثين أن يعملوا بجديّة على التقليل إلى أدنى حدّ من أي ضرر أو استغلال محتمل للفئات الضعيفة من مجتمع البحث، وأن يحترموا حقوقهم وحريتهم وكرامتهم. ويمكن للجامعات والمؤسسات البحثية أن توفّر التدريب اللازم للباحثين حول الأخلاقيات البحثية والتعامل مع المبحوثين بشكل مناسب.

5.2 الإبلاغ عن نتائج البحث ونشرها: Publication et Dissémination

يتحمّل الباحثون مسؤولية أخلاقية للإبلاغ عن نتائجهم بدقة وشمولية. حتى لو لم تكن النتائج كما هو متوقّع. وتجنّب النشر الانتقائي أو حجب البيانات التي قد تؤدي إلى بناء استنتاجات متحيّزة أو مضلّة. لما في ذلك من مساس مزدوج بالموضوعية والحيادية في البحث العلمي وتوجيه لفهم المطلّعين على نتائج البحوث نحو أفهام قد تحمل تشويها لمجتمع البحث أو تقديمه على غير حقيقته الواقعية. ويتحمّل الباحثون أيضا مسؤولية أخلاقية وازنة في توسيع نطاق اطلاع الجمهور القارئ أو الدوائر الأكاديمية البحثية أو السياسية على نتائج البحث أي انتشار نتائج البحث على نطاق واسع أو على الأقل غير ضيّق بشكل قصدي ومتعمّد من قبل الباحثين. ذلك أنّ التحكّم فيما ينشر وأين ينشر وفي نطاق النشر يوقع الباحثين موكّدا في إخلال بأخلاقيات البحث وأخلاق التعامل مع المشاركين في البحث ومع المجتمع البحثي، أي التلاعب **Manipulation** والخداع (Christian, L. Magali, B, 2022, pp 73-81) Tromperie.

6.2 حماية الفئات الضعيفة والهشة: Protection des Groupes Vulnérables

قد يكون بعض مجتمع البحث المدروس فئات هشة وأخرى ضعيفة غير مدركة أو غير قادرة على حماية نفسها، مثل الأطفال أو الأفراد المسنين أو السجناء أو الأفراد ذوي الإعاقات الإدراكية. فهؤلاء أكثر عرضة للخطر وبالتالي يتوجّب أخلاقيا إيلائهم عناية خاصة لحماية حقوقهم وكرامتهم أثناء البحث.

7.2 تجنّب الأذى: Évitement Des Préjudices

يجب على الباحثين السعي لتقليل أي ضرر جسدي أو نفسي أو عاطفي قد يتعرّض له المشاركون نتيجة لمشاركتهم في الدراسة، عبر احترام مبادئ السرية والمجهولية أي عدم كشف هويتهم والحفاظ على سرية المعطيات والبيانات الشخصية التي صرّحوا بها للباحثين. فثمة موضوعات حسّاسة يفرض كشف هوية المبحوثين إلى الحاق الضرر النفسي أو الاجتماعي أو القانوني. وهو مبدأ

أخلاقي على غاية من الأهمية في بناء الثقة بين الباحث والمبحوثين أو مجتمع بحثه من خلال إقرار الباحثين من البداية بالتزامهم أخلاقيا في مقابلة الموافقة على المشاركة في البحث بعدم تعريضهم الى أي شكل من الأذى أو الضرر واستعدادهم لحمايتهم تجاه هذا التهديد (Laurent. Dousset, and al , 2010, pp 13-30).

8.2 معالجة البيانات وتخزينها: Traitement et Stockage Des Données

يجب على الباحثين استخدام البيانات التي تم جمعها بمسؤولية وأخلاقية. وهذا يعني احترام مبادئ النزاهة العلمية والموضوعية والإنصاف في تحليل وتفسير البيانات. ومن جهة ثانية فهم مدعوون أيضا الى الحرص على تخزينها بشكل آمن لمنع الوصول غير المصرح به وحماية معلومات المشاركين. يجب عليهم أيضا الحصول على موافقة مستنيرة من المشاركين قبل جمع البيانات وإبلاغ المشاركين بكيفية استخدام بياناتهم بسرية وأن يحصلوا على موافقتهم على أي استخدام ثانوي. وقد يشمل ذلك استخدام تدابير الأمان مثل تشفير البيانات واختصار الولوج لها عند عدد قليل من الأشخاص المصرح لهم.

3. الإشكاليات المنهجية والابستمولوجية التي تثيرها عملية أخلفة البحث في العلوم الاجتماعية

لا يمكن أن تخفي المعادلة المحققة أو المفترض تحقيقها بين الدقة العلمية المطلوبة في العلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات الأخلاقية المفروضة على البحث، حصول شكل من التوتر بين هذين البعدين تغذية الخصوصيات الابستمولوجية والمنهجية للعلوم الاجتماعية والإنسانية مقارنة بالعلوم الصحيحة. وبلا مس هذا التوتر ابعادا مختلفة من العلاقة بين البعد الأخلاقي ومقتضيات الصرامة العلمية في البحوث الاجتماعية ضمن الميادين البحثية الحساسة مثل الصحة العقلية أو المعاملة السيئة للفئات الهشة أو الاعتداء الجنسي والعنف السياسي وما الى ذلك، يمكن أن نقف عند أبرزها بالتحليل والنقد.

أ. ثمة أحيانا تعارض أو تناقض بين القواعد الأخلاقية وخصوصية البحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية يترتب عنه نتائج قد تمسّ من دقتها وموضوعيتها. من ذلك أنّ شرط الموافقة الكتابية والإرادية المستنيرة للمبحوثين يحصر البحث في المشاركين الذي أبدوا موافقة ارادية. وفي ذلك تضيق وتحجيم لمجتمع البحث من جهة وخضوع موضوع البحث الى المشاركين الموافقين لا الى الباحثين باعتبار أنّ الموافقة المسبقة والحرّة والكتابية للمشاركين تضيق أحيانا دائرة البحث وتسجنها في الموضوعات التوافقية وذات المقبولة المجتمعية وتحجب، تبعا لذلك، عن البحث

الممارسات الاجتماعية الخفية التي قد يمتنع المبحوثين عن منح موافقتهم للخوض فيها علميًا أو أن يشاركوا في كشف سرّيتها أو خصوصيتها أو تمنع البحث من الخوض في الموضوعات الممنوعة اجتماعيًا أو المخالفة للأخلاق والقانون مثل الحياة الجنسية الخاصة أو الحياة الصحية أو المثلية أو الإجهاض أو العنف الأسري أو الجنسي (Alice. Desclaux, 2008, pp 79-80).

ومن ناحية ثانية فإنّ الموافقة الحرة والمستنيرة يمكن أن تصبح عقبة أمام البحث وتُعقد مساره، خاصة في الموضوعات الحسّاسة مثل العنف السياسي ضمن الأنظمة الاستبدادية أو العنف الجنسي على الذكور والاناث من الأطفال أو الكهول (Alice. Debauche et al, 2017) أو سوء المعاملة للفئات الهشة والضعيفة مثل الأطفال والنساء والمهاجرين غير النظاميين، حيث يمكن أن يفضي تعريف معيّن للعنف السياسي أو للعنف الجنسي الى توتر وقلق الأشخاص المراد منهم المشاركة في البحث وبالتالي رفضهم أن يقدّموا أنفسهم أو يتعامل معهم البحث كضحايا للعنف السياسي أو الجنسي ويرفضون بذلك المشاركة في البحث.

ثم لا يجب أن نغفل عن حقيقة أنّ أسئلة البحث في الانثروبولوجيا وكذلك سوسولوجيا الفهم المعتمدة أساسا على المقابلات، تظلّ مفتوحة باستمرار على التعديل بالحذف أو الاضافة أو بإعادة الصياغة، ممّا يقلّل من شفافية الباحث تجاه المستجيبين الذين حصل على موافقتهم الحرة والواعية للمشاركة في البحث وفق تقديم لأسئلة المواجهة الفردية أو الجماعية غير نهائية. تصبح تبعا لذلك المسألة الأخلاقية في البحث أكثر تعقيدا من المتصور نظريا نظرا لأنّ موضوعات البحث في العلوم الاجتماعية لا تكون واضحة في المراحل الأولى من البحث، ممّا يصعب معه على المشاركين فهم ما يوافقون عليه وصعوبة توقع العواقب المحتملة للموافقة. وهو ما يكشف الجانب المعقد في تأمين مبدأ الموافقة المستنيرة في البحوث الكيفية أو النوعية خاصة عندما تجرى في بيئات اجتماعية وسياقات ثقافية مختلفة (Joseph. Hoover, 2020). ولذلك شكّل توافق البحث في البحوث الاجتماعية وخاصة في الموضوعات الحسّاسة، مع أخلاقيات البحث وخاصة مبدأ الموافقة المستنيرة موضوع جدال قديم/جديد بين علماء الاجتماع أو أيضا الانثروبولوجيا نظرا لصعوبة البحث ضمن هذه الحقول المعرفية والذي قد لا يكون من المفيد للبحث التزام الباحث بهذا المبدأ الأخلاقي بالذات أو عدم إمكانية حدوثه أصلا.

ب. ثمة احتمال واسع، أيضا، في أن يفضي التزام أن الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية بمبادئ أخلاقية مثل مبدأ احترام خصوصيات المشاركين والحفاظ على سرّيتها، الى تضيق فرص وصوله الى المعلومات الدقيقة والكافية التي يطلّ عليها اختبار التوجّهات البحثية أو

الفرضيات / ممّا ينتهي بالبحث الى اجراء اختبارات او تحليله بناء على حجم قليل أو غير كاف من البيانات والمعلومات ذات الصلة وخاصة ضمن البحوث الحساسة اجتماعياً، ممّا يمكن أن يؤثر على جودة ودقّة وموضوعية النتائج. فالالتزام في حد ذاته يخلق بالفعل وضعية دقيقة ومعقّدة. فبموجب قاعدة الموافقة المستنيرة، يتوجّب على الباحث إبلاغ الأفراد المشاركين في البحث أنّه ملزم قانونياً وأخلاقياً بإبلاغه عن حالة سوء المعاملة التي تعرّض اليها المبحوث وكشفها أثناء اجراء المقابلة. وتبعا لذلك سيجد الباحث نفسه أمام معضلة حقيقية: فإن أحجم عن إبلاغ المشارك في البحث بإمكانية التبليغ فإنّه بذلك يخرق قاعدتي الموافقة المستنيرة والسرية، وإن أعلمه فإنّه يخاطر بصحة النتائج باعتبار أن علم المبحوثين بالتبليغ المحتمل أو المؤكّد بالحالة المصرّح بها سيجعلهم يمتنعون المشاركة في البحث أو يحجمون عن قول الحقيقة واخفاؤها أي عدم الاعتراف بأنهم عاشوا حالة اعتداء أو سوء معاملة. ويجب الإقرار بأن المعضلة حقيقية وصعبة. فالعقد الأخلاقي بين الباحث والمشاركين في البحث المتجسّد في التعمّد بالحفاظ على السرية المعطيات الخاصة بالمبحوثين وما يكشفون عنه من وضعيات ومعلومات، معرّض بالفعل الى أن ينفرط أو لا ينعدق فعلا بعامل عنصر التخوّف من عدم احترام الباحثين لمبدأ السرية مقابل الموافقة وكذلك عنصر الإحساس بالخدعة بتملّص الباحث أو عدم مساعدته بعد دفعه الى كشف عوالمهم الخاصة ومعطيات سرية عن حياتهم أو وضعياتهم الهشّة أو مشكلاتهم التي عاشوها أو يعيشونها (Éric. Gagnon, 2001, pp 325–335). ويتجلّى الوجه الآخر لمعضلة تطبيق مبدئي الموافقة المستنيرة والسرية ميدانيا في أنّ معظم الأبحاث في العلوم الاجتماعية، لا تحقّق فوائد فورية للمشاركين، ولا يتمّ بالضرورة تقليل المخاطر المحتملة من المشاركة في البحث. وهو ما يضع مصداقية الباحث ومسؤوليته الأخلاقية موضع الشكّ والريبة وعدم القابلية للتحقيق. ذلك أنّه من ناحية المسؤولية الأخلاقية للباحث في دراسته للموضوعات الحساسة مثل الصدمات والتجارب المؤلمة لضحايا العنف أو الناجين من النزاعات أو الأشخاص الذين عانوا من الصدمات، يتوجّب على الباحثين وضع آليات دعم ومساعدة للأشخاص الذين قد يتأثّرون بالبحث.

ت. تتعارض بعض الانتظارات الأخلاقية والميعارية مع حقيقة الميدان في بحوث العلوم الاجتماعية. وقد تؤدي الاستجابة لها إلى انتهاك الإطار المنهجي والاستيمولوجي. (Caroline. Desprès, 2020, pp.336 – 342) للحقل المعرفي على غرار الانثروبولوجيا أو علم الاجتماع في اعتماده منهج التحليل التاريخي والمنهج الكيفي (J-C, Passeron, 1991) وتقنية الملاحظة التي تولي للسياق الاجتماعي للفعل ولعملية التفاعل الاجتماعي وتعدّد المجالات والوضعيات الاجتماعية أهمية في فهم وتفسير الممارسات الاجتماعية والثقافية (J-P. Olivier de Sardan, 1995). وهو ما يعني أنّ

معرفة المبحوث بمضمون الملاحظة ومقاصد البحث قد يقلل المقاربة المنهجية من جدواها ويضعف الى حد ما الدقة والصرامة العلمية للبحوث السوسولوجية أو الأنثروبولوجيا مثالا. وبالتالي يضع هذا التوتر بين القواعد والمبادئ الأخلاقية من جهة ومطلب الدقة العلمية من جهة ثانية، هذه البحوث أمام تحدّي ليس بالهين يتجلى في ضمان عدم مساس رهانات أخلاقية البحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، بشروط ومعايير موضوعية وموثوقة وصلاحية النتائج العلمية لهذه البحوث.

ث. يمكن أن يؤدي تعدّد وتخالّف التعريفات المفاهيمية للقيم والمعايير الأخلاقية أو مبادئ أخلاقيات البحث (بما هي مفاهيم مبنية اجتماعيا يمكن أن تتطور بمرور الوقت) من حقل معرفي الى آخر ومن مجتمع أكاديمي الى آخر أو بين هيئات رقابة أخلاقيات البحث ووجهات النظر الأخلاقية الفردية للباحثين، إلى تفسيرات متباينة ومتعارضة أحيانا وهو ما يولّد استجابات غير موحّدة ومتباينة للمشاركين. ذلك أنّ الأخلاق ضمن جماعة اجتماعية أو مجتمع تحدّد ضمن سياقات اجتماعية وتاريخية وثقافية محدّدة. وعليه يصعب تعريفها أو تحديدها بدقة إلّا من خلال مقارنات بين الأحكام القيمية التي يستنتجها الباحثين في ميادين بحث مختلفة. فقتل شخص لفرد من جماعته تعتبره الجماعة أو الأخلاق الجماعية "غير أخلاقي" لأنّه كما يقول Dousset "يعطّب العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقربانية القائمة، وتشكّل فعلا يخلق توترات يتمّ فيها التشكيك في قدرة هذه الجماعة على إعادة انتاج نفسها، وبالتالي في «طرق التصرف والتفكير»". وعلى العكس من ذلك، فإن قتل شخص من جماعة معادية بصنع الأبطال ويقوّي قدرة الجماعة على التفكير في "طرق فعلها وتفكيرها" (وبالتالي أخلاقها) على أنها شرعية ومتفوّقة" (Laurent, Dousset, and al, 2010, pp 13-30). ونظرا لهذا التنوّع المفاهيمي، من الضروري للباحثين التعرّف على المبادئ التوجيهية الأخلاقية المحدّدة لمجال بحثهم، والاطّلاع على مدوّنات السلوك الأخلاقي ذات الصلة والعمل عن كثب مع لجان أخلاقيات البحث للتأكد من أنّ عملهم يتوافق مع المعايير الأخلاقية المقبولة.

ح. قد لا ينجح الباحث في خلق عنصر الثقة **Confiance** بينه وبين المبحوثين في بعض القضايا الاجتماعية الحسّاسة والمتعلّقة بوضعيات هشّة لأفراد أو جماعات يشملها البحث. وعلى سبيل المثال يمكن استحضار موضوع تعرّض الأطفال للاعتداء الجنسي. فتجربة الألم التي عاشها هؤلاء اجتماعيا وتعرّضهم الى هتك حرمة أجسادهم من قبل الكهول ستفقدهم الثقة في الكهل الذي يجسّد المعتدي والمحيط الذي ينسب له السبب في تعرّضه لمحنة الاعتداء الجنسي. فكيف للباحث أن يبني عنصر الثقة مع المبحوثين كمبدأ أخلاقي رئيسي في عملية البحث في ظلّ هذه الوضعية

العلائقية التي تفرزها الوضعية الحساسة التي يعيشها المبحوث والتي هي موضوع البحث. ولذلك يبدو أنه لا يمكن فصل الأسئلة الأخلاقية التي يثيرها البحث عن موضوع البحث.

ج. الموازنة بين الموضوعية والالتزام: قد يكون الباحثون متحمسين لمعالجة الموضوعات التي تم تجاهلها وقضايا العدالة الاجتماعية. ومع ذلك، فإن الحفاظ على الموضوعية مع الدعوة إلى التغيير الإيجابي يمكن أن يكون تحدياً أخلاقياً مهماً يوجب على الباحثين الموازنة بين هاتين الضفتين لضمان النزاهة العلمية مع المساهمة في التغيير المجتمعي.

وبشكل عام، فإن الرهانات الأخلاقية للبحوث في العلوم الاجتماعية تثير العديد من الإشكاليات المنهجية والاستيمولوجية، ويتطلب ذلك توازناً بين التزام الباحثين بالممارسات الأخلاقية والالتزام بالمبادئ والقيم الأخلاقية وبأخلاقيات البحث ومدونة مبادئ التعامل المهني وبين تأثيراتها المحتملة كما أسلفنا على البحث وعلى موضوعية وحيادية ودقة نتائجه، وبين تحقيق أهداف البحث والتوصل إلى نتائج موضوعية ودقيقة. ويعدّ التواصل المفتوح والشفافية والالتزام المستمر بالاعتبارات الأخلاقية أمراً ضرورياً لإجراء بحث مسؤول في المجالات الحساسة والموضوعات التي يتم تجاهلها في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

خاتمة:

صفوة القول أنّ العلاقة بين الدقة والصرامة العلمية والاستجابة للتحديات الأخلاقية في البحوث الحساسة في العلوم الاجتماعية والإنسانية لا تكون في صالح البحث العلمي إلا إذا كانت ديناميكية وتبادلية لغاية ضمان نتائج موثوقة علمياً ومسؤولة أخلاقياً. فالصرامة العلمية أمر بالغ الأهمية في البحوث الحساسة في العلوم الاجتماعية والإنسانية. وهو ينطوي على استخدام تمثلي منهجي صارم وأساليب بحث كيفية أو كمية مناسبة واختيار عينات تمثيلية وجمع بيانات دقيقة والتحقق الدقيق من النتائج، تحقيقاً للدقة العلمية التي تضمن مصداقية وموثوقية نتائج البحث.

إلا أن البحوث في الموضوعات الحساسة اجتماعياً والخوض في الموضوعات المحظورة واللامقالة يضع الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية أمام مشكلات وتحديات ذات صبغة أخلاقية وتلك المتعلقة بأخلاقيات البحث. وهو ما يمنح للرهان الأخلاقي للبحث أهمية بالغة تلزم الباحث بالاستجابة للتحديات الأخلاقية التي تشملها كباحث وعبر الامتثال للمعايير الأخلاقية الصارمة والتي من بين أهمّها كما أسلفنا الحصول على موافقة مستنيرة من المشاركين، وحماية خصوصياتهم وتأمين سرية هوياتهم وتقليل المخاطر المحتملة أثناء أو بعد البحث واتخاذ مسافة

فاصلة أيديولوجية وأخلاقية مع موضوع بحثه تحصّنه من الأحكام القيمية والأخلاقية والانحياز الأيديولوجي والقوالب النمطية.

وقد أفضت مناقشتنا أوجه العلاقة بين الصرامة العلمية واستحقاقاتها الاستيمولوجية والمنهجية من جهة والرهان الأخلاقي للبحوث إلى استنتاج الطابع التكافلي والتبادلي للعلاقة رغم الموقف الراض لشقّ من الباحثين للرقابة الأخلاقية على البحث وتشويشها على البحث وعلى أسسه الاستيمولوجية والمنهجية ورفض شقّ آخر الفصل بين الصرامة العلمية والرهان الأخلاقي للبحث بما يجعل استجابة الباحثين للتحديات الأخلاقية ديناميكية داخلية للبحث تعزّز الاستجابة التلقائية للباحث دون الوقوع تحت رقابة خارجية عن مسار البحث وسيرورته. فالدقّة العلمية ذاتها تساهم بما تقتضيه من إجراءات وتمشّيات في تحقّق الاستجابة الأخلاقية من خلال ضمان وثوقية ودقّة ونزاهة النتائج العلمية، بينما تضمن الاستجابة الأخلاقية سلامة وشرعية البحث ككلّ أمام المشاركين في البحث وأمام المجتمع الأكاديمي وهيئات رقابة أخلاقيات البحث على صعيد المؤسسة الأكاديمية أو المجلات العلمية. إلّا أنّه كما انتهينا إلى ذلك فإنّ تحقّق هذه العلاقة الديناميكية أن يكون الباحثون على دراية بالقضايا الأخلاقية الخاصة بالبحوث الحساسة في العلوم الاجتماعية والإنسانية وخاصة ما يطلبه مبدأ الحساسية الثقافية من التنبّه للاختلافات في اللغة والدين والثقافة ومراعاتها وكذلك فهم الأعراف الاجتماعية والممارسات المحلية.

الآ أن التزام الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية بالاستجابة للمبادئ والمعايير الأخلاقية والمتصلة بأخلاقيات البحث تضعه أحيانا في مأزق أخلاقي بسبب موضوع البحث ذاته. فالباحث الذي يدرس تعرّض الأطفال للاعتداء الجنسي يقدّم للطفل المبحوث ضمانا بسرية هويته والمعطيات التي سيصرح بها اثناء المقابلة مقابل الحصول على موافقته الواعية والحرّة على المشاركة في البحث ولكن المأزق الذي يجد نفسه ضمنه يتمثّل في كشف هويته من خلال الزامية اعلام السلطات بتعرّض الطفل المستجوب إلى جريمة الاعتداء أو الاستغلال الجنسي (Éric Gagnon, 2001, pp 325–335).

قائمة المراجع

- بورديو. بيار وباسرون. جان كلود، إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة للنسق التعليم، ترجمة ماهر تريمش، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007.
- دوركايم. اميل، قواعد المنهج السوسيوولوجي، ترجمة محمود قاسم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، شرعة أخلاقيات العلوم والتكنولوجيا في المنطقة العربية، القاهرة، 2019، <https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000372170>.
1. Auclair. René, Éthique, morale, déontologie. Service social, Revue Service social, Vol 40, n° 1, 1991, <https://doi.org/10.7202/706511ar>, consulté le 22/07/2023.
 2. Beitone. Alain, Epistémologie générale et épistémologie des sciences sociales, Sélection de citations, 2016, <http://eloge-des-ses.com/wp-content/uploads/2016/05/Citations-Epist%C3%A9mologie-2016-AB.pdf>
 3. Bendjaballah. Selma, et al, Anonymat et confidentialité des données : l'expérience de beQuali : L'expérience et les solutions mises en œuvre par beQuali. La diffusion numérique des données en SHS, Presses universitaires de Provence, 2018, <https://sciencespo.hal.science/hal-02873570/document>, consulté le 28/07/2023.
 4. Bengo. Joseph Mfutso ; Masiye. Francis ; Muula. Adamson, Ethical challenges in conducting research in humanitarian crisis situations, *Revue Malawi Med*, vol 20(2), 2008, <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC3345669/>
 5. Benveniste. Annie ; Monique Selim, « Encadrements éthiques et production globalisée des normes », Journal des anthropologues [En ligne], N°136-137, 2014, mis en ligne le 02 juin 2016, consulté le 23 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/jda/4456> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/jda.4456>
 6. Bonnet. François, Bénédicte Robert, La régulation éthique de la recherche aux États-Unis : histoire, état des lieux et enjeux, Genèses, Vol 2, n° 75, 2009, <https://www.cairn.info/revue-geneses-2009-2-page-87.htm>.
 7. Bourdieu. Pierre, Questions de sociologie, Paris, éd Minuit ? 2002.
 8. Burton-Jeangros. Claudine, L'éthique (en) pratique : la recherche en sciences sociales, Genève, « Sociograph. Sociological Research Studies », n° 34, 2017.
 9. Camille Yip and Al, Legal and ethical issues in research, Indian Journal of Anaesthesia, vol 60(9), 2016, <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5037952>.

10. Carvallo. Sarah, « L'éthique de la recherche entre réglementation et réflexivité », *Revue d'anthropologie des connaissances* [En ligne], vol13, N°2, 2019, consulté le 23 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/rac/1094> ; DOI : <https://doi.org/10.3917/rac.043.0299>.
11. Casadevall. Arturo, et al, *Rigorous Science : A How-To Guide*, ASM Journal mBio [online], vol. 07, n°6, 2016, consulted 27/27/2023, <https://doi.org/10.1128/mbio.01902-16>. Available from: <https://mbio.asm.org/content/7/6/e01902-16>
12. Castel, Robert, *La montée des incertitudes. Travail, protections, statut de l'individu.*, Paris, Seuil, 2009.
13. Claudine Burton-Jeangros, *L'éthique (en) pratique : la recherche en sciences sociales*, Sociograph (Sociological Research Studies), N° 34, Genève : Université de Genève, 2017, www.unige.ch/sciences-societe/socio/sociograph, consulté le 24/07/2023.
14. Connolly. Paul, *Ethical Principals for Researching Vulnerable Groups*, University of Ulster. Office of the first Minister and Deputy First Minister, 2003.
15. Couderc. Mathilde, « L'éthique de la recherche sur la santé en Afrique », *Bulletin Amades* [En ligne], 68 | 2006, mis en ligne le 04 février 2009, consulté le 01 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/amades/351>.
16. Coutellec. Léo, « Penser l'indissociabilité de l'éthique de la recherche, de l'intégrité scientifique et de la responsabilité sociale des sciences », *Revue d'anthropologie des connaissances*, vol. 13, n°2, 2019, consulté le 23 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/rac/1124> ; DOI : <https://doi.org/10.3917/rac.043.0381>
17. Debauche Alice. Et al, « Présentation de l'enquête Virage et premiers résultats sur les violences sexuelles », *Revue Document de Travail*, N°229, France, Institut national d'études démographiques, 2017.
18. Desclaux. Alice, « L'éthique médicale appliquée aux sciences humaines et sociales : pertinence, imites, enjeux, et ajustements nécessaires ». *Bull Soc Pathol Exot*, 2008, 101(2).
19. Desprès. Caroline, *Paradoxes du consentement éclairé en sciences humaines et sociales*, *Revue Médecine Palliative*, Vol19, N°6, 2020, pp.336 – 342.
20. Doucet. Hubert, « De l'éthique de la recherche à l'éthique en recherche », *Éthique publique*, vol. 12, n° 1, 2010.
21. Dousset. Laurent and Al, « Comment penser l'éthique dans la pratique en sciences sociales et humaines ? », *Journal des anthropologues*, N°136-137, 2014.

22. Finger Matthias, L'approche biographique Face aux sciences sociales le problème du sujet dans la recherche sociale, *Revue européenne des sciences sociales*, T27, N°83, 1989, <https://www.jstor.org/stable/40369806>, consulté le 29/07/2023.
23. Florence Bouillon, Marion Fresia et Virginie Tallio, « Les Terrains Sensibles À L'aune De La Réflexivité », in collection "Dossiers africains", « Terrains sensibles expériences actuelles de l'anthropologie », France, Centre d'études africaines, EHESS, 2005.
24. Gagnon. Éric, Remarques sur l'éthique dans les sciences sociales, *Les Cahiers de droit*, vol42, N°2, 2001.
25. Gagnon. Éric, Remarques sur l'éthique dans les sciences sociales. *Les Cahiers de droit*, Vol42, N°2, 2001, <https://doi.org/10.7202/043639ar>, consulté le 29/07/2023.
26. Goffman. Erving, *Stigmate. Les usages sociaux des handicaps*, Paris, Les éditions de minuit, 1975.
27. Hoover. Jopseph, *Ethics and Morality in International Relations*, Oxford Bibliographies, 2020, Available online : <https://www.oxfordbibliographies.com/view/document/obo-9780199743292/obo-9780199743292-0119.xml>, accessed on 02/08/2023.
28. Humphreys. Laud, *Le commerce des pissotières. Pratiques homosexuelles anonymes dans l'Amérique des années 1960*, La Découverte, coll. « textes à l'appui », 2007.
29. Joël. Myriam, *Enquêter en prison auprès de femmes impliquées dans des violences sexuelles sur mineurs*, *Civilisations: Revue internationale d'anthropologie et de sciences humaines*, « Enquêter en terrains difficiles », N° 64 , 2015, mis en ligne le 22 décembre 2018, consulté le 30 /07/ 2023, URL : <http://journals.openedition.org/civilisations/3800> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/civilisations.3800>.
30. Joseph Josy Lévy et Bergeron. Michel, « Éthique de la recherche et responsabilité sociale du chercheur », *Éthique publique* [En ligne], vol. 12, n° 1 | 2010, consulté le 01 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/ethiquepublique/281> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/ethiquepublique.281>.
31. Lahire, Bernard. *Le travail sociologique de Pierre Bourdieu. Dettes et critiques*, Paris, La Découverte, 2001.
32. Larouche. Jean-Marc, Les sciences sociales et l'éthique en recherche en contexte canadien, Régulation imposée ou approche réflexive ? *Revue d'anthropologie des connaissances*, vol 13, n°2, 2019.

33. Latouche. Serge, Éthique et esprit scientifique, Revue L'Homme et la société, N. 84, 1987, consulté le 28/07/2023, http://www.persee.fr/doc/homso_0018-4306_1987_num_84_2_2280.
34. Laval. Christian, Bouchon. Magali, « Ethics and research in humanitarian settings », Humanitarian Alternatives, Issue 19, » Moving away from childhood as an icon: an ethical and operational requirement », Mars 2022, <https://www.alternativeshumanitaires.org/en/parution/issue-19-march-2022/>, consulté le 29/07/2023.
35. McKenzie. Tsering, « Ethnographier un projet de recherche nord-sud entre différences épistémologiques, enjeux éthiques et rapports de pouvoir », Revue d'anthropologie des connaissances [En ligne], Vol13-2, 2019, consulté le 24 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/rac/1161> ; DOI : <https://doi.org/10.3917/rac.043.0425>
36. Olivier de Sardan. Jean-Pierre, « La politique du terrain », *Revue Enquête*, N°1, 1995, mis en ligne le 10 juillet 2013, consulté le 24 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/enquete/263> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/enquete.263>.
37. Painter. Sara, « La recherche du consentement : enjeux et méthode dans une enquête qualitative auprès de personnes en fragilité psychique », Revue Carnets de géographes [En ligne], N°14, 2020, mis en ligne le 15 décembre 2020, consulté le 25 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/cdg/5587>
38. Parini, Lorena & Julien Debonneville , Les politiques de la recherche : éthique, rapports de pouvoir et groupes vulnérables, In: Clau-dine Burton-Jeangros (Ed.), L'éthique (en) pratique : la recherche en sciences sociales, Sociograph, Sociological Research Studies , N°34, 2017, Genève.
39. Passeron. Jean-Claude, Le raisonnement sociologique. L'espace non-popperien du raisonnement naturel, Paris, Nathan, 1991.
40. Prairat. Eirick , Éthique, morale et déontologie , De la déontologie enseignante, Paris, Presses Universitaires de France, 2009.
41. Ricoeur. Paul, Soi-même comme un autre, Paris, Seuil, 1990.
42. Roca i Escoda, Marta, Burton-Jeangros, Claudine, Diaz, Pablo et Ilario Rossi (éds.), Enjeux éthiques dans l'enquête en sciences sociales, Art ; Léa Sallénave , Une Juste Place Et Distance: Contre Une Posture Éthique De Façade, Sociograph - Sociological Research Studies, N°45, Genève, 2020, www.unige.ch/sciences-societe/socio/sociograph, consulté le 17/07/2023.

43. Sen.Vinod., & Nagwanshee. Raj Kumar, Ethical Issues in Social Science Research ,Research Journal of Management Sciences, vol 5(10), 2016, consulted 27/07/2023,<http://www.isca.in/IJMS/Archive/v5/i10/8.ISCARJMS-2016-079.pdf>.
44. Staksrud. Elisabeth and al, Guidelines For Research Ethics In The Social Sciences And The Humanities, The Norwegian National Research Ethics Committees, 5^{ème} éd, Norwegian, 2021. English, 2022,
https://www.researchgate.net/publication/360929016_Guidelines_for_Research_Ethics_in_the_Social_Sciences_and_the_Humanities.
45. Thierry Rogel, « Laud Humphreys, Le commerce des pissotières. Pratiques homosexuelles anonymes dans l'Amérique des années 1960 », Lectures [En ligne], Les comptes rendus, mis en ligne le 25 juin 2007, consulté le 30 juillet 2023. URL : <http://journals.openedition.org/lectures/424> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/lectures.424>.
46. Thomas. Hélène, Les vulnérables : la démocratie contre les pauvres, Bellecombe-en-Bauges, éd Croquant,2010.
47. Van der Maren. J.-M, La recherche appliquée en pédagogie. Des modèles pour l'enseignement. Bruxelles : De Boec, 1999.
48. Vassy. Carine ; Richard. Keller, « Faut-il contrôler les aspects éthiques de la recherche en sciences sociales, et comment ? », Mouvements, vol. 55-56, no. 3-4, 2008.
49. Žydžiūnaitė. Vilma, Implementing Ethical Principles In Social Research: Challenges, Possibilities And Limitations, Revue Research and Realities, Vol. 29, N°1, 2018.